اتجاهات جديدة لتحديث نظرية الأمن الاسرائيلية

محمد عبد الرحمن

اذا كانت نظرية الأمن القومي بمعناها الشامل تستند، أساساً، الى الموارد القومية المتاحة في وضع أسس ومبادىء تطبيق النظرية، فان نجاحها واستمرار تفوّقها يتوقف على رعايتها المتواصلة، وتطويرها بما يتلاءم مع التطورات العلمية، والسياسية، والاجتماعية، والبيئة المحيطة؛ وبالتالي، عليها ان تتلاءم مع الأهداف السياسية الاستراتيجية، وتتطابق معها. فمعادلة الأمن القومي لا تحافظ على قوتها، وتوازنها، وحرية عملها، بقواها الذاتية، بل على العكس، انها بحاجة الى تعديلات مستمرة لجميع مكوّناتها: قيادات تعرف كيف تقود الشعب وتوحّده؛ موارد لا تنضب، بل تنمو باطراد؛ وسائل فعّالة ومدروسة؛ جاهزية كاملة؛ وسيلة حكيمة، تنفيذ متكامل وأهداف متوازنة ومتكيفة، سواء مع المتغيّرات المستمرة في محور الاتجاه التاريخي، أو مع ضغط البيئات الداخلية، والاقليمية، والدولية.

لقد أدخلت القيادة الاسرائيلية في معادلة «الأمن القومي» مركّبات عدة ساهمت في وضع الأسس والمبادىء لما أصبح يعرف باسم «النظرية الأمنية الاسرائيلية». فالى جانب العناصر الاساسية المتعارف عليها، مثل الموارد البشرية والاقتصادية والارض والتكنولوجيا والوضع السياسي، هناك من الاسرائيليين من يضيف اليها مركّبات أخرى، مثل العلم والمجتمع والقضاء والسياسة العالمية والشعب اليهودي[1].

ومن خلال المعطيات القائمة منذ قيام اسرائيل العام ١٩٤٨، تمّت صياغة نظرية الأمن الاسرائيلية عبر توجيهات، ومحدّدات، وضعها رئيس الوزراء الاسرائيلي الأول وزير الدفاع، دافيد بن ـ غوريون. وظهرت بشكل أكثر تفصيلاً في كتاب يغئال الون «الستار الرملي»، الذي أُعيدت طباعته العام ١٩٦٨، كدليل على نجاح النظرية في التطبيق العملي بعد حربي السويس العام ١٩٥٦ وحزيران (يونيو) ١٩٦٧.

وكانت الاعتبارات التي انطلقت منها النظرية هي الخوف والهلع على البقاء المادي لوجود اسرائيل، ومن شعور «الدونية» ازاء الجانب العربي في توفير المركّبات الأساسية للأمن القومي، سواء بالنسبة الى الموارد البشرية والاقتصادية، أو بالنسبة الى العمق الاستراتيجي، بما يعنيه لاسرائيل من مساحة جغرافية ضرورية حتى يمكن تطبيق مبادىء النظرية، وأهمها مبدآ صد الهجوم العربي المحتمل، وتعبئة الاحتياط استعداداً لتوجيه ضربة اسرائيلية مضادة.

ويقاس نجاح النظرية، أو فشلها، من الناحية العملية، في قدرتها على تحقيق الأهداف الاستراتيجية التي وضعت من أجلها وسط الظروف والبيئات المختلفة. وبالنسبة الى منطقة